الانقلاب
على
عبد الناصر
قضايا ..
وإشكاليات

الفصل السادس

# ثورة
# الكرامة الإنسانية!

obeikan.com

obeikan.com

## لحظة ميدان التحرير

للدكتور مصطفى الفقي عبارة شهيرة يقول فيها: المتغطي بأمريكا عريان وهي عبارة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لكنني أضيف إليها أوروبا أيضا التي أعربت أشتون وزيرة خارجيتها السابقة عن سعادتها بسقوط النظام.

لقد تخلى الرئيس المصري السابق عن حكم مصر ووضع الشباب المصري نهاية لحكمه بعد أن استمر ثلاثين عاما وتحديدا من أكتوبر عام ١٩٨٠ لا أحد غيور على وطنيته يعترض على ذلك. الكلي يهنئ بعضه بعضا ويرى أن ما فعله الشباب في ميدان التحرير هو بداية لصفحة مصرية جديدة لكن السؤال الأهم:

• ماذا سيحدث لمصر بعد ذلك؟ ذكرت أن الكل يهنئ بعضه بعضا لكن سرعان ما يقفز في صدورنا سؤال إلى أين تتجه مصر إذن؟ هل لحكم ديمقراطي يحكم الشعب نفسه بنفسه أم إلى حكم تيوقراطي أي تتحكم فيه طبقة عسكرية أشبه بالأوليجاركية التي حدثتنا عنها كتب التاريخ؟!

الناس تشعر بقلق على مصر هذا صحيح كما تشعر بأن عصرا سياسياً مر عليهم مما جعل الشيوخ يندمون أنهم ليسوا من الشباب الذي حرك المياه الراكدة، مصر يا قوم تستحق أن نبذل لها الغالي والنفيس فكل شيء قد طالته في الأسابيع القليلة الماضية يد الإهمال نحن بحاجة إلى تطوير وتنمية وإبداع ولا نقف عند لحظة ميدان التحرير هذه اللحظة التي كتبت صفحة جديدة في كتاب مصر الحديثة ذلك الكتاب الذي نسبه البعض زورا وبهتانا لمبارك مع أن القاصي والداني يعلمان أنه كتاب مفتوح منذ محمد علي حتى اليوم أقول إن مصر في حاجة إلى استمرار هذه اللحظة (لحظة ميدان التحرير) في ميادين الإنشاء والبناء والتعمير اعتمادا على أنفسنا دون انتظار لمساعدة من أحد في الداخل أو الخارج فالقاعدة الذهبية تقول: «لا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة» وحدها المصالح هي الدائمة وحقا قد فهمت الدرس واعتمدت على نفسها فكانت ثورة التغيير التي نعيشها الآن.

## «ثورة مصر» والعالم

لقد لقنت الثورة المصرية العالم درسا في العلاقات الدولية لا يمكن أن ينساها، أولها أن هذه الثورة بدأت بالشباب ثم انضمت لها كل فئات الشعب فأضحت ثورة الشعب المصري.

وثاني هذه الدروس، أن كلمة ثورة كانت تستدعي إلى الذهن ثورة عرابي، ثم ثورة ١٩١٩ التي كان مفتونا بها نجيب محفوظ في رواياته، ثم ثورة عبد الناصر في عام ١٩٥٢.. وأخيراً ثورة شباب مصر في ٢٥ يناير ٢٠١١.. أما الدرس فهو أن الثورة الأخيرة بما رفعته من شعارات تحث على المساواة والعدل الاجتماعي، هي امتداد لثورات مصر الأولى.. الأهم من ذلك أنها ثورة سلمية لم تلجأ إلى إراقة الدماء أو العنف، وإن كان النظام قد لجأ لذلك فقتل أكثر من ٨٥٠ شاباً وشابة، ولأنه عجز عن مواجهة عامة الشعب الذي ملأ جميع الأرجاء والميادين كان العدد مرشحاً للزيادة..

الأهم أن هذه الجحافل الشعبية لم تترك الميادين إلا بعد أن نظفتها.. وأعادت إليها رونقها الذي خاصمته طوال أيام الثورة الأولى، وهو شيء أرتج له عقل العالم، فللمرة الأوى نجد شباب الثورة يحملون أدوات النظافة وبدلا من التظاهر وحرق الشوارع، وقطع الأسلاك وتعطيل حركة المرور يدب فيهم النشاط ليزيحوا الوجه الكئيب عن بيوتهم وشوارعهم..

ومن دروس هذه الثورة، أن الجيش كان من حماة هذه الثورة العظيمة، فلم يلجأ إلى العنف، وإنما وقف بقياداته وعتاده وأسلحته لحماية كل فرد.. وعندما رفع المتظاهرون: الجيش والشعب إيد واحدة! لم يكن ذلك من قبيل الفانتازيا الثورية التي تغرق في بحار الشعارات، كما هو الحال في دول الجوار العربية مثل سوريا وليبيا واليمن...

الدرس الذي سيذكره العالم هو إعلان المجلس العسكري الذي يدير دفة

الحكم بعد أن أعلن رأس النظام الذي كان حاكما تنحيه وتحول رموزه من قمة السلطة في الحكم إلى ليمان طرة.. احترامه لجميع المعاهدات الدولية، والاتفاقات الثنائية وأنه لابد من السير في طريق الديمقراطية..

وأعتقد أن دول الجوار قد هدأت كثيرا خصوصا عندما علمت أن النظام العسكري المؤقت في مصر (وكذلك الحكومة المدنية التي اختارها الشعب) لن يخرج على قواعد القانون الدولي..

كذلك كان هناك درس استوعبه العالم، كل العالم، وهو أن مصر وسبقتها تونس بأيام قليلة ترسيان دعائم ربيع الثورات العربية، فالذي يحكم اليوم في معظم الدول العربية الشعوب لا النظم..

وكل من يريد لعلاقاته دواما، واستمرارا فعليه أن ينسجها مع الشعوب، وليست النظم، لأن الأولى دائمة والثانية مؤقتة، وما حدث في مصر ذات الثمانين مليونا ليس إلا أكبر دليل على ذلك..

وانطلاقا من هذا الفهم، جاءت الدبلوماسية الشعبية التي أكدت للجميع أنها لم تكن بعيدة عن متخذ القرار في مصر، وإن لم تدخل بشكل مباشر في سلطاته.. لكنها بعد أن تزور المناطق الملتهبة في السودان والبحيرات العظمى، وينابيع مياه النيل وشريان الحياة في مصر، وقامت بتنقية الأجواء، وتعديل المسار.. وحققت نجاحا غير مسبوق في العالم وليس فقط في مصر، وهي بذلك أعطت للدبلوماسية الشعبية بعداً جديدا إذ أن البعض كان يتكلم عنها في ضوء شلل الأمم المتحدة، منظومة العمل العالمي المشترك، ولكن لم يطلق لها العنان كما هو الحال الآن..

وليس من شك في أن قادة الأمة قد انصاعوا للرغبات الشعبية وغاب عن الأذهان شعارات مثل تلك التي أطلقها أحمد لطفي السيد أستاذ الجيل المعروف، مثل: أصحاب المصلحة الحقيقية، فالحق أن هذا التفكير الفئوي قد غاب ليحل

محله شعار مصر لكل المصريين..

الدرس الآخر الذي لقنه المصريون للغرب، كل الغرب، هو الفتنة الطائفية التي حاولت أن تشتعل مثنى وثلاث ورباع في الأيام الأولى من الثورة، فاندلعت أزمتها الأولى في كنيسة القديسين في الإسكندرية، ثم في كنيسة صول بحلوان وأخيرا في كنيسة إمبابة.. والحق أن العنصر الإسلامي كان غائبا عن هذه المحاولات التفجيرية الثلاث، والعكس هو الصحيح بمعنى أن المصريين، مسلمين وأقباطا، كانوا يطفئون النيران ولسان حالهم يقول: كلنا مصريون نعبد إلها واحدا. هذا الدرس الذي خرج من مصر يدرسونه حاليا في مانهاتن بأمريكا التي تعرف نسبة كبيرة من السود، وفي الهند التي تثور فيها الفتن بين المسلمين والمسيحيين.. وهو يعرف بالدرس المصري في التسامح وقبول الآخر.

أما انفجار التشكيلات الحزبية، هو درس آخر غزا العالم، إذ بعد أن يحكم مصر حزب واحد أو الأحزاب الأخرى مجرد ديكور ديمقراطي أي أصبحت هناك تشكيلات وائتلافات حزبية تعلن عن نفسها بمجرد الإشهار أو الإعلان.. والسبب في هذه السهولة يرجع إلى قانون التشكيلات الحزبية الذي أعلن عنه أخيرا المجلس العسكري ففتح الطريق أمام جميع الأحزاب حسبما تقضي بذلك القواعد الديمقراطية..وهو ما يعني، وهذا ما فهم العالم الغربي، أن الشعب المصري عكس ما هو شائع عنه وقاله رئيس مجلس الوزراء الأسبق أحمد نظيف من أن الشعب المصري قاصر ديمقراطيا!.. هو شعب متحضر وقادر على السلوك السياسي الديمقراطي.. وقادر على استيعاب قواعد اللعبة الديمقراطية..

أما مسألة تعديل الدستور، والخطة التي رسمها المجلس الأعلى سواء الخاصة بانتخاب مجلسي الشعب والشورى وانتخاب رئيس الجمهورية، والجدل الذي صاحب ذلك خصوصا بعد أن استعان الجيش برجال مدنيين لتعديل الدستور، ثم احتفالية التصويت على استفتاء عام.. كل ذلك أكد للأعمى والبصير على السواء،

أن التعامل مع الشعب المصري يجب أن يختلف عن التعامل مع الشعوب الأخرى، فهو شعب يعرف ويعلم، ويصبر لكنه لا يثور إلا في الوقت المناسب!

هذه هي الدروس التي قدمتها مصر بأريحية شديدة إلى العالم ولا ننكر أن الدول العربية قد أيقنت منذ اللحظة الأولى بأنها تتعامل مع الشعب لا مع النظام.. والحق أقول إن هذه الشعوب العربية كانت تعرف يقينا أن الشعب المصري إذا ثار فلن يبقى ولن يذر، وكانت هذه الشعوب تنتظر هذه اللحظة الحاسمة التي تعود فيها مصر إلى مكان الريادة الذي ظل شاغرا عندما سرقها من سرق وقربها من إسرائيل والغرب وباعد بينها وبين الجوار والمحيط العربي..

والحق، لقد شعر المصريون بالخارج بهذه الحقيقة التي انعكست في نظر الشعوب الأخرى التي يعيشون بين ظهرانيهم، فأنت مصري إذن أنت مواطن محترم، كما شعر مصري اليوم بأنه سليل أسرة ترجع إلى قدماء المصريين.. فهو إذن خلف لأفضل سلف! هذا ما يشعر به أكثر من عشر سكان مصر الذين يعيشون في الخارج.. فالدول التي يسكنون فيها قد رحبت بهم مجددا لا لشيء إلا لأنهم زملاء وإخوة لثوار مصر، وللثورة المصرية التي أعادت مصر إلى شقيقاتها العربيات وإلى مقعدها الريادي الذي ظل ينتظرها طويلا، طويلا.

ولابد أن نعترف أخيراً أن المليار دولار الذي خفضه السيد أوباما من ديون مصر البالغة ثلاثون ملياراً، وكذلك إعطاء مصر ودول الربيع العربي نحو ٢٠ مليار دولار من مجموعة الدول الثماني الصناعية الكبرى، ودعوة الرئيس ساركوزي أن يتضاعف المبلغ... لم يأت إلا تقديرا للثورة المصرية وشباب مصر.

## من سرق الثورة المصرية؟!

إنني أشعر مع كثيرين غيري بالغيرة على ثورة الشباب التي اندلعت في ٢٥ يناير لا نريد أن يمسها الآخرون بسوء، وأشهد أنني عندما ذهبت إلى باريس في الصيف

الماضي وجدت الصحف تتكلم عنها باحترام شديد ويعتبرونها الدافع الأساسي لكي يخيم الربيع العربي على المنطقة العربية رغم أن ثورة تونس قد سبقتها بأيام، لكن ربما للبعد الديموغرافي فمصر يبلغ عدد سكانها ٨٥ مليونا وربما لأن تاريخ مصر القديم والمعاصر يجعل مصر قدوة في كل الأحداث، كما يجعلها في المقدمة. ولذلك لم تتردد الصحف الفرنسية والأجنبية عموما في وصفها بأم الثورات العربية. كما أذكر بهذه المناسبة كلمة قالها لي غسان سلامة وزير ثقافة لبنان الأسبق: إن مصر. ربما دون أن نعرف. تؤثر في المنطقة العربية تأثيراً شديدا فكل ما يحدث فيها منذ سنوات وسنوات تجد أثرا له في بعض الدول العربية بل في معظمها.. وهذا يتضح من ثورتها السلمية وشعاراتها التي ملأت أرجاء الدول العربية.

لهذا السبب يؤلمني كثيرًا أن يسرق البعض هذه الثورة الشابة التي وضعت رأس النظام السابق وراء القضبان وحكمت على بطانته بالسجن، وأطلقت القانون من أسره وجعلته سيد الموقف بعد أن أعادت للشعب القاعدة الذهنية في الديمقراطية، وهي أن الشعب هو مصدر السلطات!

عندما أجد أن المليونيات – المظاهرات قد شلت الحركة في ميدان التحرير، وأن هناك ميدان آخر هو «ميدان العباسية» قد اكتظ بالمناوئين.. وأن الأزهر الشريف امتلأت أرضه بالمتظاهرين لنصرة المسجد الأقصى.. كل ذلك يحدث في يوم واحد فهذا معناه أننا تجاوزنا مرحلة المشكلة والأزمة ووجدنا أنفسنا وجها لوجه مع الفوضى ومصر –حاشا لله– لا يمكن أن تكون فاعلة للفوضى أو حاضنة لها!

صحيح أن الشعب هو الذي يقرر بعد طول غياب ويحدد أولوياته وصحيح أيضا أن الشباب الذي وضع الثورة أرغم الآخرين على احترامه بعد أن تجاهله الكبار لفترة طويلة من الزمن!

ولا شك أن الثوار قد عانوا من العنف الذي وقع الجميع أسرى له، لكن الصحيح أيضا أن الانتخابات على الأبواب، وهي ليست في حاجة إلى هذا الجدل الصاخب الذي يملأ الشوارع والميادين!!

وإني لأربأ بالثوار والأبرار أن يقعوا في تناقض لاحظه الكثيرون.. فهم يتجمهرون في الميدان مما يعوق المسألة الانتخابية ويزيد من بقاء العسكريين في السلطة، لأنه لا يعقل أن تظل مصر نهبا لهذا وذاك دون حماية ثم يطلبون في الوقت نفسه أن يرحل المجلس العسكري لأنه من غير المنطقي أن ننادي جميعا بأن تكون مصر دولة مدنية ثم يحكمها في الوقت ذاته بعض العسكر!

ثم هذا ما أستغرب له.. لقد استجاب المجلس العسكري لكل مطالبهم بأن قبل استقالة الوزارة السابقة وعين مسئولا عن الوزارة الجديدة ووضع عوازل فاصلة بين الثوار والأماكن التي كانت تعتبر رمزا للقمع مثل وزارة الداخلية ورأيي أن كل من سقط في ميدان التحرير هو شهيد وذهب إلى إجراء تحقيق في ظل حالات الاستشهاد التي وقعت كما لم تغب عنه المطالب الأولى مثل العدالة الاجتماعية.. وتحديد جدول زمني للبرلمانيات والرئاسيات بعدها سوف يعود إلى ثكناته ومهمته الأولى وهي الدفاع عن مصر ضد أي عدوان خارجي.

إن شعب مصر –وهذه هي عقيدتي- أكثر ذكاء من ابتلاع الطعم والانشغال ليل نهار بما يحدث في الداخل مع أن الخطر عبر الحقب التاريخية المختلفة لم يأت لنا إلا من الخارج بدءاً بالحملات الصليبية وانتهاء بانتدابات والاستعمار إني – لاشك- أهيب بكل متظاهر أو معتصم سلميًا أن يكف عن الوقوف في الشوارع والميادين وأن يرسم سياسة بلده وهذا من حقه. بالمشاركة السياسية الفاعلة وأن يكون ابن حضارة تضرب بجذورها خمسة آلاف عام أو يزيد بالاحتكام إلى صناديق الاقتراع التي نتابعها اليوم وغدا.

ويعلم جيدا أن بقاءه في الشارع سوف يضر بالاقتصاد المصري ضررا بالغا..

فقد أكدت الشواهد أن الخسران المبين سيكون من نصيب مصر وأن هذا الخسران سيكون حجمه بالملايين يوميا وعقيدتي مرة ثانية أن المجلس العسكري هو مصري حتى النخاع، وعدم الثقة في كل ما يقوله جريمة لا تغتفر.. والأهم أن ثورة مصر العظيمة التي صنعها شباب مصر وشاركه الأهل جميعا يجب أن تظل سلمية ونقية من أي شوائب يمكن أن تحدث لها. ولذلك فاعتراض البعض على هذا المرشح أو ذاك لا مبرر له لأن مصلحة مصر العليا يجب أن تكون فوق كل اعتبار!

**• الساكت عن الحق:**

صدر ديوان شعر لنرمين ناجي الطحاوي بعنوان «فراقيع طراقيع»! مع تقديم للدكتور أحمد عبد العال عضو اتحاد الكتاب ويضم قصائد أهمها: أمي، وأنا فلاح مصري.

– توجهات الصحافة العبرية تجاه الحرب الإسرائيلية على لبنان عنوان الأطروحة العلمية التي تقدم بها الباحث خالد السعيد سيد بجامعة الزقازيق وتحت إشراف الدكتور أحمد حماد والدكتور هدى درويش. – د. سيد عبد الخالق رئيس جامعة المنصورة مدعو لفتح ملفات كلية الآداب فرع دمياط اليوم قبل غد والبحث في المسؤولية عن أمانة الكلية وما إذا كانت قد تم خصم ١٥ يوما من راتبها في زمن عمادة (حامد حواس.. والسبب المباشر في اختيارها).

– صدر كتاب اليمين المسيحي-الأمريكي- ترجمة أحمد الشيخ عن المركز العربي الإسلامي للدراسات العربية، الكتاب من تأليف البروفيسور بن بركة- تنبأت رواية السيدة العرافة لمحمد القصبي لثورة الشباب وذهبت إلى أن مصر باقية رغم الفساد والمحن!

– صدر كتاب مناهج البحث العلمي عن مركز إبداع عبد الرحمن بدوي بتقديم لمحسن بدوي الذي يحرص على إصدار إنتاج عمه في ثوب قشيب.

– أعدت الباحثة بوسي جمال الدين استمارة بحثية تحت إشراف الدكتورة أسما حافظ بجامعة الزقازيق حول موضوع: التغطية الصحفية للقضايا الإقليمية والمحلية للمراسلين العرب والأجانب في مصر.

## «الغرب».. وثورات الربيع العربي!

باستثناء ليبيا التي تقول المؤشرات الأولى لنتائج الانتخابات أن الليبراليين متقدمون، فإن بقية دول العالم العربي التي عرفت ما يسمى الربيع العربي مثل مصر واليمن وتونس عرفت ظاهرة تسيد الإسلاميين،

وأذكر أن الفيلسوف الجزائري محمد أركون كان يميز بين الإسلاميين والإسلامويين، مؤكدا أن النوع الأخير موجود في عالمنا الإسلامي بكثرة وهو يدعي أنه سيحكم بما أنزل الله، على أن الكاتب المغربي الطاهر بن جلون يرى أن الإسلامويين هم الذين يحكمون اليوم في بلاد الربيع العربي، ثم يضع يده على قلبه خوفاً منهم لأنه يميل إلى الحكم المدني، بل يميل إلى فصل الدين عن السياسة.

أيا كان الأمر، ومهما اختلفنا مع هؤلاء واختلفنا أيضا مع التقسيم بين الإسلاميين والإسلامويين، فالمحقق أن هؤلاء القوم من حقهم أن يصعدوا إلى مقاعد السلطة.. ففي عهد عبد الناصر. في مصر – كانت الغلبة– معظم الوقت – للشيوعيين.. ولم يتكلم أحد.. وفي عهد السادات كانت الغلبة للرأسمالية ولم يتحرك أحد.. وفي عهد مبارك كانت الغلبة لليبرالية الجديدة.. ولم يتكلم أحد، وبالتالي فمن حق الإسلاميين أن يجتهدوا في كلمتهم.. وليس من حق أحد أن يعترض اللهم إلا ما تسمح به الديمقراطية السليمة التي نتعطش إليها..

واليوم جاء في كرسي الحكم السيد الدكتور محمد مرسي، الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، بل كان رئيسا لحزب الحرية والعدالة الذي يقال عنه الجناح السياسي لجماعة الإخوان المسلمين.. أقول جاء الرجل بإرادة شعبية

وقامت بتصعيده صناديق الاقتراع وحدها.. أي أنه لم يكن هناك تزوير.. واختفى إلى الأبد الرقم الكريه ٩٩.٩٪ الذي كان يحتكره رئيس الجمهورية.. فعلينا التسليم بهذا الأمر وأن نباركه من منطلق أن هامش الديمقراطية الذي نطمح إليه قد اتسع.. ومن منطلق أن من حق هؤلاء أن يجتهدوا في الحكم وأن ننتقدهم إذا ما وجدنا اعوجاجا.. وهذا ما يحدث الآن؛ فالرئيس محمد مرسي لا تتورع أي صحيفة في مصر أو فضائية أو إذاعة عن توجيه النقد له، وعاد مجددا الحديث عن جماعة الإخوان المسلمين، وتوصيفها بأنها كانت الجماعة المحظورة يوما، أريد أن أقول إن النقد الذي يوجه إلى الرئيس وإلى الجماعة، لم نكن نحلم به ولا تحلم به أي دولة ناهضة أو عريقة في الديمقراطية.

وهذا معناه أن الديمقراطية في زمن الإخوان المسلمين قد اتسعت رقعتها وامتدت بحيث لم يعد في السلطة منهم من هو في مأمن من النقد، ولنذكر، قبل محاذير السلطة السابقة ومنها عدم الخوض في الحديث عن الأسرة الحاكمة (الأب والأم، والابنين الأكبر والأصغر) ومن يجرؤ على ذلك سوف يلقى جزاءه إلا من عصم ربك!! والمثال الصارخ على ذلك عندما حاول أن يتحدث أحد الكتاب عن صحة الفرعون (مبارك!) فكان جزاؤه السجن لولا تدخل رئيس الدولة في حركة سينمائية لجلب مزيد من الأنصار!!

صحيح لقد أفرز الربيع العربي الإسلاميين.. لكنهم كانوا موجودين ولم يتم استيرادهم لا من الولايات المتحدة ولا من إسرائيل، وإنما كانوا يتعرضون إلى الاضطهاد في الدول العربية ورغم ذلك استطاع نفر منهم أن ينقذوا.. فكان محمد مرسي عضوا بارزا في البرلمان، ويشهد له مجلس الشعب صولاته وجولاته، وكان يضع نصب عينيه القاعدة التي تقول:لا أخاف في الحق لومة لائم.. كما كان منحازا لعامة الشعب وكان يتحدث عن العدالة الاجتماعية «الغائبة» وعن الفقر الذي كان يحصد ي الناس كالحروب..وعلينا أن نترك الرجل يعمل ثم نبدأ الـ١٠٠ يوم التي وضعها الرجل لنفسه.. ولاشك أننا قد لمسنا تغييرا إلى حد كبير

في بعض المناحي مثل المرور.. وبالطبع لا تكفي هذه المدة لتقويم الرجل، لكن على الأقل شروعه في تنفيذ برنامجه الانتخابي هو الفيصل.. وهكذا نريد الديمقراطية التي أفرزته من بين عامة الشعب!! إذن لا داعي للثورة عليه، والخوض في حياته، ولكن في الوقت نفسه عن الاضطرابات والاعتصامات التي أصبحت معروفة عن مصر ولا ننس أن شعار الرجل «النهضة» إرادة أمة.. وأن الأمة يجب أن تساعده في تنفيذ ذلك.. لا بالإضراب..! ولا ننس أن الشعوب العربية هي التي قامت بهذه الثورات وليس القوى الغربية التي فوجئت بها، وأذهلها ما قام به المصريون الذين كانوا يوصفون بالخنوع.. لكن في وصف آخر كانوا يقولون عن الشعب المصري إنه يشبه «النيل».. فهو هادئ عذب رقراق.. حتى إن الشعراء يتغنون به.. لكن إذا ما غضب أو زمجر أو ثار حطم في طريقه كل السدود.. وهذا ما حدث مع ثورة الشعب المصري التي يدرجها بعض الغربيين في صف واحد مع ثورة عرابي وثورة ١٩ وثورة الضباط الأحرار.. لكن هيهات أن يظل الغرب متفرجا على هذه الثورة العملاقة.. فبعد فترة كان لابد أن يمارس لعبته، في التحكم في شعوبنا من خلال القادة الجدد أيا كانت أيديولوجياتهم..! ولا ننس أنهم فعلوا ذلك مع القادة الجدد أيا كانت أيديولوجياتهم.. ولا ننس أنهم فعلوا ذلك مع القادة السابقين حتى كان يقال إنهم كانوا يقفون وراء الاستبداد في المنطقة العربية.. ولن ننسى تصريحات السيدة هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية، عندما كانت تشيد بحكومة نظيف في بداية الثورة وتقول إنها تمسك بزمام الأمور.. لكن سرعان ما غيرت موقفها من الثورة والثوار عندما نجحوا، وبدأت في التعامل مع القادة الجدد بعد أن تخلت عن تصريحاتها السابقة، والتقت بالرئيس مرسي، ثم ذهبت مباشرة إلى إسرائيل وكأنها تحمل رسالة طمأنه تقول إن الرئيس مرسي مشغول بالداخل ولن يغير في معاهدة السلام.. فعلى إسرائيل أن تهدأ بالاً!!

الغرب –يا قوم– لنا بالمرصاد يريد لشعوبنا أن تظل ساحة لأفكاره ومنتجاته، وتجاربه السياسية ومراهقاته –إن صح التعبير– يشيد بنا وقت يريد، ويغضب علينا وقت يشاء.. المهم أن يمسك بكل ما يضمن تحقيق مصالحه.. هكذا هي السياسة التي علمنا إياها: أنه لا عداوات دائمة ولا صداقات دائمة.. وإنما وحدها المصالح هي الدائمة.. ومصالح الغرب مع دولنا وشعوبنا ونظمنا هي الأبقى ولذلك تخلى بسهولة عن علي عبد الله صالح، وتخلي عن مبارك، وزين العابدين.. وها هو يدفع في اتجاه تخلي بشار الأسد في سوريا..

لكن ما يجب أن نتذكره دوما هو أنه – أي الغرب– يفعل ذلك ليس من أجل سواد عيون الشعوب العربية ولكن من قبيل ركوب الموجة، واعتبار أنه ؟؟؟؟؟ الربيع العربي.. الصحيح أنه متفرج ولم يفعل أي شيء وإنما قفز في منتصف ؟؟؟؟؟؟ ليقوم بتوظيف هذه الثورات المجيدة لخدمته وخدمة مصالحه، فلا ينخدع أحد ؟؟؟؟؟؟؟ الشعوب فالتاريخ العربي قديمه وحديثه– يؤكد أن الغرب لم يكن يوماً مع الـ؟؟؟؟ وإنما مع الحكام الذين يحققون له مصالحه، وإنما حديثه عن حقوق الإنسان و؟؟؟ القانون والديمقراطية لم يكن إلا أداة لتحقيق ما يريد، فالقذافي في ليبيا كان ؟؟؟؟ واختصر الدولة في أسرته المكونة من عدة أفراد.. لكن لأنه لم يحقق لهم ؟؟؟؟؟؟؟؟ انقلبوا عليه وأخرجوا أدواتهم من الأدراج وأخذوا يتكلمون. فجأة، عن حقوق ؟؟؟؟ واحترام القانون والديمقراطية، بوصفها قيما غربية ونحن ضيوف عليها.. القيم خلقت للناس أجمعين ونحن منهم!!

الغرب يا قوم ليس بريئا مما يحدث لنا من وعكات في طريق النهضة ... لدولنا سلاما وغنما شقاق مستمر.. وها هو ينتهز فرصة الربيع العربي؟؟؟؟؟ الشعوب العربية ليقول للناس أجمعين غنه مع الشعوب.. مع أنه –لعمر يوم مع الشعوب إنما يقف مع مصالحه ومع الحكام الذين يحققون له ؟؟؟؟؟؟ أما حديثه عن القيم الغربية في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ؟؟؟ قبيل ذر الرماد في العيون!!

لقد علمتنا تجارب الحياة أن الشعوب وحدها هي صانعة مس؟؟؟؟؟ وليس الغرب، فلنحافظ على ثوراتنا العربية من الذوبان ولنعرف ؟؟؟؟ الاستعماري في الشرق حافل بالمآسي، فلنعتمد على ذواتنا فقط ؟؟؟؟؟ الآخرين فهو أشبه برمال الصحراء يحسبها الظمآن ماء.. لكنها أكثر مما تصيب.

## «أوروبا».. والثورة!

يهتم الرأي العام الفرنسي بما يحدث في المنطقة العربية، ويرى أن هناك صحوة للشعوب العربية لم يكن يتوقعها أحد، وإن لم تبتعد عن الذهن الغربي، كما يرى أن حكومات الغرب تحاول أن تركب الموجة، وتعتبر أن مظاهر الديمقراطية التي تعج بها المنطقة العربية كان ضروريا أن تحدث، باعتبار أن الديمقراطية في بلاد العرب أصبحت مثل كرة الثلج التي تكبر وتكبر في انتقالها من تونس إلى مصر وليبيا واليمن والبحرين وسوريا.. ونجاح هذه الثورات مؤشر على أن الشعوب العربية عرفت أنها استيقظت، وأنها مصدر السلطات.. أو هكذا ينبغي أن تكون.

وقد احتفت وسائل الإعلام الفرنسية بالثورات العربية، فكتبت إحداها عن نهاية الاستثناء العربي وكانت ترى أن الديمقراطية العربية كانت تثير الضحك والسخرية، لأن حكام المنطقة كانوا يأتون عن طريق الديمقراطية، لكن بعد سنوات يمكثون في الحكم يتنكرون للديمقراطية ويتحولون إلى أباطرة، بل إن يهتم بالتوريث على طريقة الملوك على حساب مصالح الشعب، وتتحول الديمقراطية من أسلوب حياة كما تعلمها الفرنسيون وغيرهم من اليونان الأقدمين إلى أسلوب آخر يضمن البقاء والاستقرار عشرات السنين.

ويذهب قواد الرأي في فرنسا إلى أن مميزات هذه الثورات أنها جعلت الديمقراطية العربية ديمقراطية «بدون توصيف»، أي أنها ديمقراطية تضمن أن يكون الشعب –لا الحكومات – مصدر السلطات.

وقد حرصت بعض دور النشر على إصدار أعداد خاصة تتكلم عن ظاهرة

الثورات العربية بوصفها «حدث الأحداث» .. فمجلة التاريخ الجغرافي اختارت صورة الزعيم جمال عبد الناصر على غلافها، وتساءلت: من أين تأتي الثورات العربية؟ وقد حكمها في ذلك أن لاحظت أن الأجيال الجديدة لم تر عبد الناصر، وبرغم ذلك كانت ترفع صوره في المليونيات.. وتوقعت المجلة أن تكون هذه بداية لحدوث طفرة في إنشاء الأحزاب، وهذا ما حدث بالفعل، لأن في إجابتنا عن السؤال الذي طرحته ويتعلق بمصدر هذه الثورات، قالت: إن القومية العربية كما صغها عبد الناصر قد تكون أحد مصادرها، خصوصا أن البوعزيزي الذي حرق نفسه في تونس – لم يكن شابا تونسيا بقدر كونه شابا عربيا خالصا كان لحرقه التأثير نفسه في تونس ومصر وليبيا.. واليوم في سوريا واليمن والبقية تأتي.

لكن إنصافا قد تكلمت المجلة «التاريخ الجغرافي» عن محمد على بوصفه مؤسس مصر الحديثة وإسرائيل ثم اتفاقية السلام التي وقعها أنور السادات ومناحم بيجين في حضور جيمي كارتر وخلصت إلى القول بأن هذه الاتفاقية سوف تكون مثار جدل بين مؤيد ومعارض.. وهو ما يحدث الآن، لكنها رأت أن المجلس العسكري الأعلى سيظل قابضا على الحياة في مصر حتى تحسم الانتخابات الأمر.

وفي عدد خاص لمجلة أخرى وضعت على غلافها صورة قرآنية تحدثت عن الإسلام وقالت: من محمد –صلى الله عليه وسلم- إلى الثورات العربية اليوم، وتبنت وجهة النظر الإسرائيلية التي ترى أن سيناء ستصبح وكرا للإرهابيين وتسجل في الوقت نفسه عودة الإسلاميين سريعا، باعتبار أن تنظيم الإخوان المسلمين هو أكثر الأحزاب تنظيما بعد الحزب الوطني الذي انقلب عليه الشعب وحرق مبناه الرئيسي دلالة على كراهيته الشديدة له.

وتحذر المجلة من أن تتحول مصر بعد إيران إلى دولة إسلامية!.. ويتحدث كاتب افتتاحيتها عن الثورة والثورات، ويرى أن مصر بحكم الـ٨٥ مليونا الذين

يمثلونها، والاتفاقيات التي وقعها النظام الأسبق، وحرص النظام السابق على تطبيقها، ثم المحاكمات التي يتعرض لها رموز النظام السابق ودلالة قاطعة على أن مصر هي القيادة في السلم والحرب، وأن الشعب المصري لا يمكن تجاهله.

وتحدث رجال الفكر في فرنسا عن ميدان التحرير باعتباره المكان الذي انطلق منه الثوار إلى كل مكان في العالم وأشادوا بالمجلس العسكري الأعلى، باعتباره حامي مصر من الداخل ومن الخارج، وأنه أكثر ديمقراطية من النظام السياسي السابق الذي ترك البلد نهبا لكل طامع في السلطة سواء في مكتب الرئيس أو أمانة السياسات أو مكتب زوجة الرئيس.

ورحب رجال الفكر والثقافة بعودة مصر إلى ريادتها للأمة العربية، وقالوا إن مكان مصر ظل خاليا، وإنها سوف تقود الأمة العربية إلى بر الأمان بحكم تاريخها وديموجرافيتها وريادتها في مختلف المجالات. باختصار.. لقد كانت الثورات العربية هي الشغل الشاغل للرأي العام العربي والفرنسي بشكل خاص.. وهو يرى أن الأوضاع في مصر سوف تظل في حالة انعدام وزن.. لكن سرعان ما تعود إلى أفضل مما كانت.

## ثورة بلا مثقفين!

عندما أتأمل ثورة ٢٥ يناير يتبين لي أنها امتداد لثورات عرابي، وسعد زغلول وعبد الناصر والضباط الأحرار. كما يتبين لي أنها أفرزت كتابها ومثقفيها من المبدعين والكتاب والشعراء.. أما مثقفو اليوم فقد ناصبوها العداء في البداية حيث لم يكن أحد منهم يتصور أنها ستنجح، فظل عدد منهم صامتا ومختفياً عن الأنظار حتى إذا ما نجحت وجدنا هؤلاء يخرجون عن صمتهم ويحشرون أنفسهم حشراً في الفضائيات ويدعون أنهم كانوا في ميدان التحرير.. مكان اندلاع هذه الثورة!

ليس عيبا أن يعترف هؤلاء بأنهم كانوا غائبين وأنهم ليسوا من الثورة في شيء..

فمثلما كانت ثورة ٢٥ يناير بلا قائد سياسي.. فلقد خاصمها المثقفون الذين اعتدنا عليهم.. فلا هذا أو ذاك كانوا معها لذلك فتحت الطريق أمام مثقفين آخرين! وعلينا أن نعترف بذلك دون مواربة. وقديماً اعترف عميد الأدب العربي الذي مات مع انتصارات أكتوبر دون أن يدري به أحد أنه وإن كان محسوبا على فترة الملك إلا أنه ليس من مثقفي ثورة عبد الناصر، وأنهى عباس العقاد حياته المهنية في الرد على قرائه في يوميات الأخبار.. وترك المجال أمام مثقفين جدد يُهيئون للثورة –ثورة عبد الناصر– المجال، ولم يحسب عليها، بل إنه تجاهل زعيمها عندما أراد هذا الأخير أن يمنحه قلادة النيل تكريما له..

أقول ليس عيبا أن يعترف أدباء اليوم أنهم كانوا بعيدين عن ثورة ٢٥ يناير.. وإذا لم يعترفوا بذلك فلقد رصدنا ذلك.. وعليهم أن يعترفوا أيضا بأن هذه الثورة جاءت ومعها مثقفيها.. ولم تشأ أن تحظى شهرة هذا الأديب أو ذاك.. أو أن تدعي لنفسها ما ليس من حقها.. إن ثورة ٢٥ يناير كانت بلا مثقفين لذلك فإن مثقفيها هم أولئك الشباب الذين ملؤوا الميدان وكانوا يحملون العود في اليمين وأرواحهم على اليد اليسرى.. أما أدباء اليوم الذين طبقت شهرتهم لآفاق فلقد آثروا السلامة!